مع نفسى . . . !

للأستاذ سيد قطب

(١) كتاب الحياة

هذه الحياة الدنيا عجيبة : صفحة منها تعرض كأنما هى وجه الجحيم ، فإذا الدنيا كلها آلام ، وإذا الطريق كله أشواك ؛ وإذا النفس الإنسانية فى يأس لا رجاء لها فيه ، وضيق لا مخرج لها منه . وصفحة منها تعرض ، كأنما هى طلعة الفردوس ؛ فإذا النفس الإنسانية تطلّع على هذه الحياة ، وكأنما ترتادها أول مرة ، وفى رحابها الفسيحة آفاق للأمل لا تأخذها الأبصار

وليس بين هذه الصفحة وتلك ، إلا بمقدار ما تتحول النظرة من صفحة إلى أخرى فى كتاب !

فأين هو الحق والباطل فى هذا الكتاب العجيب ؟

(٢) لحظة سعيدة

كم فى هذه الدنيا من أشياء جميلة ، نفقدها كل يوم لأننا لا نلقى إليها انتباهنا فى اللحظة المناسبة

بالأمس كنت فى حجرتى منفرداً ، كانت أبوابها مغلقة علىّ ، لأننى فى أعقاب توعك زال . وفجأة نظرتُ إلى النافذة المغلقة ، فرأيت الشمس من ورائها توصوص لى بأشعتها

لقد أحسست إحساساً — غير كاذب — أنها تستأذن علىّ فى لهفة . إنها تود لو أسمح لها بالدخول . كانت كالصبية الغريرة فى مطلع الربيع ...

وما كدتُ أفتح لها النافذة حتى أشرق محياها الوضىء بابتسامة عريضة . وراحت تلقى بنفسها فى فرح وشوق على أرضية الحجرة المتواضعة ، كأنها ملكة تتخفف من التقاليد

وما لبثتْ أن أخذت تتجاذب مع كل شىء فى الحجرة أطراف حديث شهى ، كنت أصغى له بكل جوارحى ؛ ولقد وعيت فى لحظات قصار أشياء كثيرة ، لا أملك أن أبوح بها . لقد ذابت فى دمى وأحاسيسى ، واندست هناك بعيداً عن متناول الألفاظ

٢٩ ٠ ٢٢

ورويداً رويداً جعلت أشعر أن كل ما فى الحجرة يؤلف (جوقة) راقصة توقع (سيمفونية) عذبة . ورأيتنى أشترك مع هذه الجوقة فى الرقص والتوقيع . وقد غاب عن حسى كل ما فى العالم الخارجى من شخوص وأحداث ، وكل ما فى عالى النفس من مشاغل ومنغصات

لقد كانت لحظة جميلة . حقيقة لم تدم . ولكنها كسب لا شك فيه ، يضاف إلى رصيدى التواضع من السعادة العميقة فى هذه الحياة

(٣) الحلم الضائع

حينما كنت أحلم مغمض العينين ، كنت أتسخط على أشواك تؤذينى فى هذه الأحلام

فلما استيقظت وتفتحت عيناى ، رحت أتحسر على تلك الرؤى بكل ما فيها من آلام

عندئذ حاولت أن أغمض أجفانى مرة أخرى ، وأن أستعيد الحلم الذاهب مع الكرى

هنالك سمعت هاتفاً من الأعماق :

هيهات أيها الواهم هيهات
إنه حلم واحد فى هذه الحياة

(٤) الفتى المفقود

لست أنت التى أريد يا فتاة ، ولا عليك آسى فى هذه الحياة

إنما أريد ذلك الفتى الحالم الذى كان يحيل حقيقتك المجسمة ، إلى رؤيا مجنحة

ذلك الفتى الذى كان يلقاك فى عالم الأجسام ، كأنما يلتقى بأسطورة فى عالم الأوهام

ذلك الفتى الذى كانت تضطرب أنفاسه وتتلاحق لأن كفه لامست كفك ، أو لأن نظرته التقت بنظراتك

ذلك الفتى الذى كان الدم يطفر فى شرايينه والبهجة ترقص فى خاطره ، لأن شفتيك أو عينيك قد همستا إليه ابتسامة سريعة

نعم ! أريد ذلك الفتى المغمض العينين ، الذى كان يراك بخياله حورية ساحرة . فإذا فتحهما مرة فرآك إنسانة عابرة ، أغمض عينيه فاستطاع أن يلقاك فى الفردوس المسحور

أريد ذلك الفتى الذى أفتقده فى نفسى اليوم فلا ألقاه . وعليه آسى كل الأسى لا عليك أنت يا فتاة !

(حلوان)